الدين من الفلسفات الدينية إلى فلسفة الدين

Religion from religious philosophies to religion philosophy

د. حمادي هوراي*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي –معسكر–، الجزائر.

تاريخ الارسال: 2018/04/29 تاريخ القبول: 2018/07/18 تاريخ النشر: 2019/01/16

نحاول في موضوعنا طرح تحليل فلسفي لتطور العلاقة بين مجالين مهمين من حياة البشر، ألا وهما الدين والفلسفة، حيث نطمح إلى فهم خاص للتغير الحاصل في النظر إلى مفهوم وموضوع وغاية الدين عبر تاريخ الفكر الفلسفي، لفهم طبيعة الوثبة الحاصلة من فلسفات دينية إلى فلسفة في الدين، وإشكال مقالنا ينطلق من وجود نقلة نوعية عرفها الفكر الفلسفي حول الدين من فلسفات دينية مجالها التسليم أو الاعتقاد ثم التعقل إلى فلسفة في الدين تتأسس على الانتقاد والتعقل دون حدود وقيود مواكبة مستجدات الواقع والعلم.

كلمات مفتاحية: الدين؛ الفلسفة؛ التطور؛ لمنهج؛ فلسفة الدين.

Abstract (English):

We aim at a special understanding of the change in the concept, object and purpose of religion through the history of philosophical thought to understand the nature of the leap from religious philosophies to philosophy in religion. , And the form of our article stems from the existence of a qualitative shift known philosophical thought about religion of religious philosophies area of delivery or belief and then reason to a philosophy of religion based on criticism and sanity without limits and limitations to keep pace with the latest realities and science

Keywords :religion, philosophy, evolution, curriculum, philosophy of religion

مقدمة:

إن تتبع العلاقة بين الدين والفلسفة، يجعلنا ندرك أنهما وجدا جنبا إلى جنب منذ فجر التاريخ، سواء أكان هذا الوجود في شكل تنافر وصدام أو في شكل تفاعل وانسجام، فلابد أن هناك اهتماما من الفلسفة بالدين والعكس صحيح، تجلى في رؤى الفلاسفة حول قضايا الالوهية والخلق والمصير ...وغيرها مما يتعلق بالدين، حيث وجدت في الفترات القديمة تصورات فلسفية مختلفة حول الدين، طرحت في إطار الأنتروموفيا والأساطير في شكل قصص خيالية تحمل أبعادا أنطولوجية وقيمية ومعرفية، وهي ذاتها ما تواصلت في الفترة الحديثة والمعاصرة لكن في شكل جديد، نتج عنه أنسنة الدين وعلمنته وإنزاله من التعالي إلى المحايثة.

فقد تأثر تصور الدين قديما بمعطيات فلسفية والشيء نفسه بالنسبة للفلسفة. استقت الكثير من قضاياها الكبرى من الدين، والحكم عينه يندرج عليهما راهنا، أين أصبحت المستجدات التي عرفتها الفلسفة في الفترة المتأخرة تحدد فهما خاصا له، ومن أهمها: نقد النزعة الوضعية وهيمنة التقنية، نقد

* حمادي هواري، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، houari.hammadi@univ-mascara.dz

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

تراجع الروحي لحساب المادي، فهم إفرازات الدين كالتطرف الديني وظواهر الإلحاد والخوف من الدين كالإسلاموفوبيا... الاستفادة من أدوات القراءة المعاصرة في بناء تحليل موضوعي وعقلاني للدين خارج سياج الدوغمائية والاعتقاد، ...فكل هذه التغيرات جعلت الفلسفة المعاصرة تنقب في رؤية خاصة للدين، تبلور من خلالها فرع فلسفي هام جدا هو ما عرف بفلسفة الدين.

هذا الفرع الجديد، هو ما دفعنا للبحث في إشكالية تطور العلاقة بين الفلسفة والدين، تطلعا منا لفهم حقيقة الوثبة الحاصلة التي عرفها الفكر الفلسفي من فلسفات دينية إيمانية إلى فلسفة في دين، يهمها الانتقاد أكثر من الاعتقاد، ترتبت عن المستجدات الحاصلة في الفترة المتأخرة على مستوى الواقع من ناحية وعلى مستوى العلم ومناهج الفهم المعاصرة على وجه الخصوص.

الإشكال المحوري لموضوعنا، يدور حول فهم التطور أو التغير الحاصل في النظرة إلى الدين بين التصورين –الفلسفي القديم والفلسفي المعاصر-، مفادها: بعدما كان الدين رديفا للغيبي والميتافزيقي والمتعالي في الفلسفات الدينية، هل استطاعت فلسفة الدين تأسيس تصور جديد له يجعله من صميم الحياة مؤسسا لها ومنظرا لمستوياتها المختلفة وينظر إليه في الوقت نفسه كظاهرة إنسانية واجتماعية تقبل الانتقاد أكثر من الاعتقاد؟

لمعالجة هذه الإشكالية، سنعتمد المنهج التاريخي، والوصفي لتكملة مسيرة الدراسات السابقة في هذا الصدد ولعل أهمها: الدراسة التي وردت عند أبو يعرب المرزوقي –صونا للفلسفة والدين-حيث نتطلع إلى فهم الوثبة الحاصلة من النظرة القديمة للدين في الفلسفات الدينية الكبرى كاليهودية والمسيحية والإسلامية وحتى الاستشراقية إلى النظرة الجديدة له في فلسفة الدين في عدة نقاط نسعى لتحليلها كفرضيات وهي:

- الفلسفات الدينية القديمة والوسيطية: إيمانية، اعتقادية تستعين بأدوات كلاسيكية لقراءة الدين كالمنطق اليوناني. بينما فلسفة الدين معاصرة، عقلية، نقدية تستعين بأدوات معاصرة لفهم الدين كالتفكيك والسميولوجيا والهرمينوطيقا....

- الفلسفات الدينية ربطت الدين بالأسطوري، المقدس، الميتافزيقي والمتعالي، بينما فلسفة الدين حاولت ربطه بالحياتي، الواقعي، المحايث وما يمكن تحليله ودراسته ونقده.

-الفلسفات الدينية أبقت الدين في برجه العاجي، بينما فلسفة الدين حاولت إنزاله من السماء إلى الأرض.

العرض:

يمكن فهم إشكال التطور الحاصل في نظر الفلسفة للدين، بتحديد مفهوم الدين في البداية، ثم البحث في تطور العلاقة بي مجالي الفلسفة والدين من الفلسفات القديمة والوسيطية إلى الفلسفات

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

الحديثة والمعاصرة، لنصل في الأخير إلى تحديد النظرة الفلسفية الجديدة الملحقة بالدين في الفلسفات المعاصرة والتي تم بموجبها التأسيس لفلسفة الدين.

1-مفهوم الدين:

هو من المصطلحات الأكثر تداولا، يحمل دلالات ومعان متعددة تختلف حسب ميادين استعمالها:

1-1-في اللغة:

أ-في اللغة العربية: ورد في لسان العرب "الدين: الجزاء والمكافأة ودنته بفعل دنا: جزيته"[1] "الدين العادة: يريد به أخلاقهم من الكرم والشجاعة وغير ذلك وفي حديث الحج: كانت قريش ومن دان بدينهم أي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه واتخذ دينهم له دينا وعبادة"[2] و"الدين: ما يتدين به الرجل، والدين: السلطان، والدين: الورع، والدين: القهر، والدين: المعصية، والدين: المعصية، والدين: الطاعة" أي أن الدين أشكال مختلفة من السلوكيات تظهر عند الإنسان.

وفي اللغة العربية يتداخل الدين مع مفاهيم أخرى. أهمها الملة والمذهب، وبصدد تفرقته بينهما، يصرح الجرجاني (816هـ) قائلا: "الدين والملة متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع، تسمى: دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبا. وقيل: الفرق بين الدين والملة، والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب للمجتهد"[3].

في اللغات الأجنبية: يرى البعض أنه مرتبط بكلمة لاتينية RELIGIOالتي اشتقت منها كلمة RELIGIONوالتي يسود اعتقاد أنها مشتقة من كلمةRELIGERE التي هي RELIERأي الربط، الربط الجامع بين البشر والآلهة، ولكن هذا الاعتقاد مختلف فيه لأن كلمة RELIGIOكما جاء في معجم لالاند تعني في اللاتينية الإحساس المصحوب بخوف وتأنيب من ضمير بواجب ما اتجاه الآلهة، ولكن نلاحظ أن هذا التعريف بدوره لا يخرج عن سياق جعل الدين علاقة أو ربط بين البشر والله.

1-2: في الاصطلاح:

ترتبط كلمة دين أو ديانة RELIGION بمعنى مختصر بكل ما يقدسه أو يبجله الفرد أو المجموعة كوجود حقيقي، وتعدد تعريفاته منها:

في معجم 'لالاند' (ت1963): يحدد ثلاث مفاهيم أساسية للدين:

"أ-مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد، المتحدين:1-بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ، 2-بالاعتقاد في قيمة مطلقة، لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها، وهو

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، ص 759.

[2] المرجع السابق ص761.

[3] الجرجاني السيد الشريف التعريفات، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006، ص 99.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

اعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه، 3-بتنسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه ينظر إليها إما كقوة منتشرة وإما كثيرة وإما وحيدة هي الله.

ب-نسق فردي لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة، موضوعها الله...

ج-الاحترام الضميري لقاعدة، لعادة، لشعور'دين كلام الشرف'-إن هذا المعنى، الذي قد يكون الأكثر قدما، كان في الماضي أكثر تداولا مما هو عليه اليوم...وهو محفوظ على نحو أفضل في الظرف، دينيا، المستعمل كثيرا بهذا المعنى، حتى في اللسان العادي"([1]).

انطلاقا من هذا التصور لمفهوم الدين ندرك أنه ذو خصوصيات أهمها، أنه ظاهرة اجتماعية ترتبط بمجموعة من الأفراد، يرتبط بالاعتقاد بالمطلق الذي يجب الايمان به والخضوع إليه والانقياد له، يتعلق بالإيمان بقوة روحية غيبية متعالية خفية تتميز بالتعدد أو الوحدة المهم أنها هي أرفع وأسمى من الإنسان بحيث يبجلها ويقدسها، يتجلى في أفعال تمثل عبادات وطقوس يلتزم بها المخلوق اتجاه الخالق، ويرتبط بمشاعر اتجاهه تتميز بالقوة والثبات والاحترام الكامل غير القابل للزعزعة في كثير من الأحيان. من خلال البحث في مفهومي الدين، في اللغة والاصطلاح، ندرك أنه رابط بين الله والإنسان، يتجلى في عبادات وشعائر وطقوس يقوم بها المخلوق اتجاه الخالق باعتبار هذا الأخير قوة غيبية روحية مقدسة مطلقة، يجب الخضوع لها والالتزام بتعاليمها، والتطبيق أو الامتثال لأوامرها ونواهيها ولكن الرؤية الفلسفية للدين بينت لنا أن هذا المفهوم ليس ثابتا بل تغير بإضفاء رؤية جديدة للدين بلغت ذروتها في الفترة الحديثة والمعاصرة، لاسيما مع تأسيس ما يعرف بفلسفة الدين.

2-الدين في الفلسفات القديمة والوسيطية:

تبلورت الرؤية الفلسفية للدين منذ أقدم العصور، وصبت في فلك المعتقدات والأساطير والقصص المتعلقة بظاهرة التقديس في أغلب الأحيان، ثم دخلت في أتون الميتافيزيقا منذ الفكر اليوناني، حيث ظهرت مفارقة عجيبة نسجت من مفاهيم وتصورات متعالية للدين تؤسس للتوحيد في مجتمع أنترومورفي، أما في الفترة الوسيطية طغى تفكير ديني بامتياز والفلسفة أصبحت تتحرك في إطار الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، وهنا أصبحت مواضيع الدين هي المواضيع ذاتها في الفلسفة ولا تختلف عنها إلا في النزر اليسير، كما تجلى في مسائل الألوهية والوجود والمصير والسعادة والإيمان والتعقل... .

ويمكن تتبع تصور الدين عند فلاسفة العصر القديم والوسيط حسب المحطات التالية:

2-1-في الحضارات الشرقية:

[1]- لالاند اندري، ج3، موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عوديدات بيروت لبنان، ط 2، 2001، ص 1206.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

عرفت هذه الحضارات الإرهاصات الأولى للعلاقة بين الدين والفلسفة، تجلت في شكل معتقدات وأساطير وجدت عند المصريين والبابليين والفرس، وعند الهنود والصينيين القدماء، تضمنت مسائل خاصة بالآلهة والخلق والمصير ... يختلط فيها الفلسفي بالديني، بحيث لم تكن مجرد قصص خيالية ولكنها تفكير وأدوات للتفكير في علاقة الإنسان بالآلهة والوجود... تضمنت قضايا خاصة بطبيعة الإله وصفاته وعلاقته بنشأة العالم ومصيره، يمكن أن نطلق عليها تفلسف أولي في الدين، وتبلورت البذور الأولى للتوحيد كمحور للدين، تجسد مع الزرادشتية عند الفارسيين حيث كانت هناك دعوت إلى عبادة إله واحد مصدر لكل الخير الموجود في العالم هو –أهورا مازدا- في مقابل إله الشر وهو –أهرمن – حيث وصف زرادشت الأول بأنه القديم الأزلي ، الذي لم يلد ولن يموت ، وهو علة العلل ،وليس له علة وهو المصدر الأول لجميع الموجودات وهو روح الأرواح ، لا يرى ولا ينظر وهو خالق الخلق كله ([1]) وبالتالي ففكره الإله الواحد المطلق تظهر بشكل جلي وأكثر وضوحا عند الفارسيين من الإله "آنو" عند العراقيين أو الإله" بتاح" عند المصريين([2])، ويمكن القول أن الفكر الشرقي القديم قام على تفلسف أولي في الدين، يقوم على الاعتقاد بمصدر أول للموجودات كثيرا ما يتخذ طابعا أسطوريا وماديا يذعن إليه الإنسان ويقدم له القرابين، معتقدا أنه هو من يصنع صيروته ومصيره وسعادته...

2-2-في الفلسفة اليونانية:

في مراحلها الثلاث -الطبيعية، السقراطية، الهلنستية-، ظهر تفكير فلسفي خاص حول الدين محوره أصل الوجود ومشكلة الألوهية، حيث وجدت في الفلسفة الطبيعية، تصورات خاصة حول الألوهية والخلق تجلت في الأصل المادي للكون الذي وإن كان طبيعيا كان يحمل طابعا دينيا بمثابة الأول المحدد للمخلوقات يمثل المعتقد الأول والأصل الإلهي للعالم، فعند **هير اقليطس**(540- 475 ق م)على سبيل المثال هناك اعتقاد بوجود مبدأ مادي واحد تنشأ عنه جميع الأشياء وهو النار التي تحمل طابعا إلهيا باعتبارها ليست النار المحسوسة بل هي نار حية عاقلة تجسد التغير والصيرورة التي تتحكم في الوجود وفاق نظام محكم يرجع إلى اللوغوس المبدأ المنظم للأضداد وأساس انسجامها في وحدة تجمع بينها تمثل الله الذي هو النهار والليل ، الشتاء والصيف ،الحرب والسلم ، الجوع والتخمة ، بل هو يأخذ هيئات متنوعة فقط مثل النار متى هي امتزجت بالتبدلات تلائم إلى إنقاذ الكل[3] ، وبالتالي هو لا يفصل الدين عن المبدأ الواحد المادي الذي ينظم الوجود، وفي الفلسفة السقراطية التي تنعت بالفلسفة

[1]- النشار مصطفى، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص45.

[2]- الجبوري عماد الدين، الله والوجود والإنسان، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت لبنان ط1-1972، ص 67.

[3]- المرجع نفسه، ص73-3

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

الإلهية ارتبط الدين ارتباطا وثيقا بالفلسفة ولاسيما في تصور ما يمكن أن نسميه بالإله والواحد المجرد في شكل الخير الأسمى والصانع عند أفلاطون (ت347 ق م) والعلة الأولى والمحرك الذي لا يتحرك عند أرسطو(ت322ق م)، كما تجلى بوضوح في الهلنستية –عند أفلوطين (ت270 م) خصوصا- تصورا خاصا للدين يقوم على الاعتقاد بالواحد المحدد للكثرة فيما يعرف بالفيض، الذي بين تسلسلا كونيا من الواحد إلى المتعدد، تتوق النفس الإنسانية من خلاله إلى الاتحاد ببارئها وتبلغ ذلك في مرحلة النشوة التي تحققها بالتخلص من أدران البدن.

فمختلف تصورات اليونان الأوائل عكست مفارقة عجيبة تجلت في وجود انفصال بين الدين كطقوس وعبادات التي قامت على تعدد الآلهة، والدين كأفكار يعبر عن الألوهية، التي كثيرا ما دارت في فلك التوحيد ولاسيما في الفلسفات المتعالية والمثالية وحتى الواقعية كما يظهر في تصور أفلاطون وأرسطو وافلوطين للإله، فعلى الرغم من وجود أفكار حول تعدد الآلهة والوثنية والشرك بدأت في قصائد هوميروس وهزيود التي جعلت الآلهة مثل البشر، فقد أصبح تصور الإله هو المبدأ الروحاني الواحد المحدد للوجود يتميز بالكمال والخير الأسمى والعلة الأولى واللامتناهي...، وهو المصدر والقوة والسعادة، أسمى غاية للبشر هي العودة إليه بالتخلص من عالم الهنا والارتقاء إلى عالم الهنالك، عالم الحقيقة المطلقة الكاملة والخير الأسمى الذي يعتبر أقصى مبلغ للإنسان.

2-3 -في الفلسفات الوسيطية:

بعد ظهور الأديان السماوية، اليهودية والمسيحية والإسلام، أصبحت الفلسفة تمثل فهما عقليا للدين لغاية الدفاع عن صحة هذه العقائد، ففي الفلسفة اليهودية عند 'فيلون ' الفلسفة هي ما تدافع عن التوراة حيث "نجد لديه لأول مرة الحقيقة الدينية وقد وضعت في صيغة فلسفية" [1] لأنه يعتبر مؤمنا باليهودية كل الإيمان، ولا ينكر أن تكون الأسفار من وضع النبي موسى، فقد كان مؤمنا بالحقائق النقلية إلى جانب العناية الشديدة بالفلسفة اليونانية، بحيث كان يرى أن التوراة هي الحقيقة والفلسفة اليونانية بدورها تمثل الحقيقة ولابد لرجل الدين أن يقر باتفاقهما لا تعارضهما ويأخذ بكليهما، والفرق بينهما يكمن في أن الأقوال الدينية أكمل وأتم، بينما الفلسفة غير ذلك أدق وأكثر تفصيلا، والموقف نفسه عند موسى بن الميمون (ت1203 م) في اهم كتبه في الفلسفة 'دلالة الحائرين'، الذي وجهه مرشدا لعلماء اليهود الحائرين بين ما تقرره الفلسفة العقلية وبين ما أتت به الفلسفة العقلية وشروحها وأخذ به أحبار اليهود، أي الحائرين بين ما يقتضي به العقل وما جاء به النقل. وفي الفلسفة المسيحية الفلسفة هي ما تقوم بالتفلسف في النص المقدس وما تدافع عن صحته بالدليل العقلي، حيث كان شعارها عند الكثير من أباء الكنيسة الإيمان ثم التعقل، فعند أوغسطين (ت430م) على سبيل المثال،

[1]- بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984.ص220.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

الفلسفة هي ما تتفق مع المسيحية وتدافع عنها، والإشراق الحاصل لهم لم يخرج عن الدعوة إلى قراءة كتاب بولس المقدسة كسبيل للنجاة والخلاص مما كان فيه من انهماك في حياة الملذات وعتاب الضمير المستمر، وهذا الحكم نفسه ينطبق على مختلف آراء فلسفة الأباء والفلسفة المدرسية فيما بعد الذين كانت فلسفتهم تصب في إطار الدفاع عن المسيحية والبرهنة على وجود الرب في الغالب. وفي الفلسفة الإسلامية، الفلسفة هي ما تتفق مع الشريعة والعقيدة، فعند الكثير من فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم-الفارابي-(ت950م)اعتبر علم الإلهيات أشرف واسمى العلوم، حيث قال:"أول ما ينبغي أن يبتدئ به المرء هو أن يعلم أن لهذا العالم وأجزائه صانعا"([1])، وهنا يشير إلى أن الفيلسوف الحقيقي هو ذلك الذي يكون متمكنا من علم الإلهيات الذي يعتبر اسمى وأشرف العلوم، والذي يكون من ناحية أخرى مدخلا للسياسة التي كانت الهم الأكبر لفيلسوفنا الذي تأثر من دون شك بأستاذه أفلاطون، الذي بدأت عنده قصة الفيلسوف حين كان يدرك الخير الأسمى الذي يعتبرا مرادفا للإله، وعند ابن رشد (ت1198م) الفلسفة هي الحق الذي لا يضاد الحق المتمثل في الشريعة فهما مكملان لبعضهما البعض ولا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال. إذن الهاجس المركزي لفلاسفة القرون الوسطى ألا وهو إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين، يتخذ منطلقا إيمانيا محضا، سعى من خلاله الفلاسفة إلى لإيجاد التقارب بين تعاليم النصوص الدينية والأفكار الفلسفية، كما أخذوا من الفلسفة منهجها المحوري الممثل في المنطق اليوناني لغاية الدفاع عن العقائد وتبرير صحتها المطلقة للنجاة في العالم الآخر بالتحرر من سجن العالم الأرضي ومطالبه المختلفة،... فلا نبالغ إن قلنا أن معظم المسائل الفلسفية المطروحة في هذه الفترة ذات طابع ديني، كمسائل الألوهية والتوحيد، الفضيلة والخير، أصل العالم، مصير النفس...

3-نحو تأسيس فلسفة للدين في الفترة الحديثة والمعاصرة:

في البداية في الفلسفة الحديثة والتنويرية، عرفت العلاقة بين الفلسفة والدين نوعا من الفتور مقارنة مع العصر الوسيط، رغم أنها لم تخرج من فلك الاعتقاد، حيث يمكن القول للوهلة الأولى أنها تمثل بداية التأسيس لفلسفة الدين التي تقوم على ايلاء الأهمية القصوى لعقلنة الدين وربطه بمستجدات التطور الفكري القائم على مركزية الإنسان في الكون وسيادته على الطبيعة ولاسيما بعد هيمنة النزعة الوضعية وانفصال العلوم عن الفلسفة.

ففي بداية هذه الفترة مع ديكارت (ت1650 م) ثم كانط (ت1804 م) لاحقا، ظل الدين محور اهتمام يتصل اتصالا وثيقا الميتافيزيقا في هذه الفترة. فرغم ظهور الثورة على الكنيسة والرغبة في امتلاك الطبيعة، ورغم انتصار الفكر العقلاني والفلسفي القائم على العقل والبداهة والتجربة، ومركزية

[1]- الفارابي أبو نصر، رسالة في السياسة، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط2006، ص 57.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

الذات في الوجود، ظل الدين محور اهتمام، غايته الأولى إدراك حقيقة الحقائق بطرق مختلفة منها التحرر من شيطان ماكر يحول بيننا وبينها، وتحقيق التطابق بين الواجب والإلهي...، بحيث يؤكد كانط في هذا الصدد أن واجباتنا بمثابة أوامر للكائن الأعلى وهي انسجام مع الإرادة الخيرة ومع ما يأمرنا به الدين في الأخير. فالكثير من الفلسفات الحديثة وإن بدت فيها ملامح الميثالية والعقلانية والنقدية ...لم تخرج عن الدين وظل وفيت له ولمواضيعه ولغاياته وإن أسست للبذور الأولى لفلسفة الدين.

ساهم كانط بشكل واسع في التأسيس لفلسفة الدين، ولاسيما في كتاب "الدين في حدود مجرد العقل" الذي يعتبره بول ريكور –تأويلية فلسفية في الدين- تنبجس من أن "موضوع الكتاب نفسه: هو كتاب لا يتعلق بفكرة الإله بل بواقعة الدين... وهنا يقيم ريكور فرقا أساسيا بين مجال النقد والتأويلية أي بين المجال المتعالي اللاتاريخي ومجال الدين التاريخي " [1]، والانتقال من الفكرة إلى الواقعة ومن التعالي إلى المحايثة ومن اللاتاريخي إلى التاريخي يمثل أهم ركائز النقلة النوعية التي أسست لها فلسفة الدين في التأسيس لقراءته وفهمه.

لكن مع النقد اللاذع للفكر المتعالي وللميتافيزيقا واستقلال العلوم عن الفلسفة، بداية من الفلسفات الوضعية إلى الفلسفات المعاصرة كالوجودية والبرغماتية والتفكيكية...، ظهرت اتجاهات مختلفة عبرت عن منعطف حاسم أو تطور كبير في وجود فلسفة الدين في إطار رؤية جديدة تنزع أكثر إلى التحرر من المعتقد والتسليم والإذعان ...، ولاسيما حينما تقوم على تقديس الذات والعقل، والنقد دون حدود...، عرف فيه الدين نظرة جديدة، ووضع بموجبها على محك التاريخ وأخضع للمنهج العلمي الموضوعي القائم الملاحظة والاستقراء والتجربة، ثم ربط بمختلف المناهج الجديدة واستخدمت في ميدانه ادوات القراءة المختلفة بعيدا عن الخطوط الحمراء وخارج سياج المقدس... عرفت من خلاله العلاقة بين الفلسفة والدين شكلا جديدا في عصر العلم والتقنية والأنسنة. وتبلورت رؤية خاصة للدين، تقوم على تصورات مختلفة تشترك في ربط العلم بمعطيات العصر وربطه بالحياة الإنسانية إنزاله من السماء إلى الأرض، فقد تميز الدين في الفترة المتأخرة بعدة خصائص أسست فيما بعد لما عرف بفلسفة الدين منها:

-اعتبار الدين ظاهرة إنسانية: فالدين من منظور البراغماتيين مثلا: ليس ظاهرة ميتافيزيقية متعالية ولكن ظاهرة إنسانية من صميم الفرد يمثل وسيلة لجلب الراحة والطمأنينة بعيدا عن الميتافيزيقا والتأمل الجاف، يمثل تجربة نفسية عملية يعيشها الإنسان في حياته اليومية يقاس بآثاره ونتائجه الإيجابية. فالفيلسوف الأمريكي "وليام جيمس" اهتم بالدين كظاهرة إنسانية ولكنه أبدى القليل من

[1]- المسكيني أم الزين بنشيخة، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 70-71.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

الاهتمام بالموضوعات التي يتأملها الدين.إنه يريد أن يكون الناس سعداء، ولو كان الاعتقاد في الله يجعلهم سعداء فاتركهم يؤمنون به "[1]، فالغاية من الدين هي خدمة الإنسان وتحقيق سعادته.

-اعتبار الدين تفاعلا بين اللامعقول والطقوس: حيث يجمع بين جانب لا عقلي نظري وبين سلوكيات يقوم بها المتدين من جهة أخرى، فصاحب هذا الموقف " يرى أن الدين هو مجموعة من المفاهيم والتصورات الذهنية التي تشكل العنصر الوهمي والأسطوري في الدين، بينما ترتبط العواطف بجعل الأحاسيس والمشاعر الفردية تجاه هذا الدين أو ذاك، ويكون نتيجتها الاعتقاد والإيمان، وهذا هو الجانب اللاعقلي في الدين، أما الأفعال فهي بمثابة الجانب السلوكي الذي يتم عبر ممارسات مرتبطة بالدين ارتباطا وثيقا كالطقوس والصلوات والأدعية وغيرها من الممارسات التي يكتمل الدين إلا بها" ([2]).

-اعتبار الدين من صميم الحياة: اليوم أصبح ينظر إلى الدين كقوة هائلة ذات علاقة وطيدة بالحياة والسلوكات اليومية، إذ يمثل: " مجموعة من المعتقدات والتشريعات والشعائر والطقوس والمؤسسات التي تحيط بحياة الإنسان، في أوضاع معينة إحاطة شبه تامة" [3] ولا يمكن فهم الدين بعيدا عن معطيات الحياة، فهو وثيق الصلة بما يقوم به المتدين من ظواهر اجتماعية وفق معطيات تاريخية زمكانية.

-اعتبار الدين بنية من القصص والأساطير: يرى الكثير من الفلاسفة المعاصرين أن الدين تضمن مجموعة من "القصص والأساطير والروايات والآراء عن نشوء الكون وبنيانه، وعن الإنسان وأصله ومصيره، وعن التاريخ وأحداثه وعن الأشخاص الذين لعبوا دورا في تسيير هذه الأحداث. " ([4]). يمكن قراءتها قراءة موضوعية بعيدا عن الاعتقاد وفي فلك الانتقاد.

-اعتبار الدين مجالا للمساءلة دون حدود وقيود، يتم التعامل معه في إطار الظاهرة الدينية التي نقبل الملاحظة والاستقراء، أو الخطاب الديني القابل للاستنطاق في مجال العودة إلى الابستمولوجي في دراسته وتجاوز الايديولوجي فيه، أو في مجال العودة إلى المنسي والمكبوت والمهمش والمسكوت عنه في ميدانه، باعتماد العلوم الإنسانية المعاصرة والمناهج الجديدة التي حاولت تجاوز الدراسة الكلاسيكية له التي حصرته في إطار الإيمان كغاية للتعقل.

ففي الفلسفات المعاصرة تبلورت رؤى خاصة حول طبيعة العلاقة بين الفلسفة والدين، أفرزتها ظروف مختلفة وعلى رأسها أحداث الحربين العالميتين، وهيمنة التقنية...،والتي تغير في فلكها مفهومه وصفاته وحتى دوره، حيث قامت على تقديس الإنسان في فلك مفاهيم الحرية والعدمية... ولكنها وإن

[1]- عبد الحفيظ محمد، الفلسفة والنزعة الإنسانية –الفكر البراغماتي نموذجا-ط1، 2006، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية مصر، ص140.

[2] - الصباغ رمضان، الفن والدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية مصر، ط1، 2003، ص 15.

[3]- العظم صادق جلال، نقد الفكر الديني، دار الطليعة -بيروت لبنان، ط9، 2003، ص12.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

نحت نحو الالحاد والمادية والبراغماتية... فهي لا تخلو من تصور خاص للدين كظاهرة أنطولوجية ومعرفية وقيمية، وإن ظهر غموضا والتباسا في العلاقة بين الفلسفة والدين في فترة المعاصرة وحقبة ما بعد الحداثة خاصة، ولاسيما بعد التطور في شتى المستويات والتغير الناتج عن المستجدات الحاصلة في الواقع.

إن هذا التصور يميط اللثام عن كثير من القضايا المتعلقة بالدين من شأنها إضفاء رؤية فلسفية عليه ذات أهمية بالغة، لما لها من أهمية في طرح إشكاليات متعددة ومتنوعة ذات صدى عميق في بناء فكر فلسفي وفعال، تلك الإشكاليات لعل أهمها علاقة الدين بالحياة اليومية، البحث في اثره في حياتنا النفسية والفكرية، حيث يفهم كطقوس ومعتقدات وشعائر ...تحيط بواقع الإنسان ومتولدة عنه، كما يحمل إشكاليات فلسفية في مختلف نصوصه بالدرجة الأولى، متعلقة بأصل الكون ومصيره وكيفية تكوينه، وهو بتعبير "صادق جلال العظم" ليس قوة روحانية متعالية بل هو جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان في جوانبها المختلفة الفكرية والنفسية والاجتماعية يفهم في إطارها ومن منظورها.

انطلاقا مما سبق تبلورت رؤى الجديدة حول الدين، تخرجه من اللاهوت إلى الناسوت ومن المتعالي إلى المحايثة ومن الغيبي إلى عالم الشهادة، وينزله من برجه العاجي، لكي يجعله من صميم الحياة الإنسانية، يفهم في إطارها وفي ظل الواقع الموجود فيه، وهو ما ترتب عنه تأسيس فرع قائم بذاته في الفكر الحديث والمعاصر عرف بفلسفة الدين، وهي "فلسفة الدين تعني التأمل الفلسفي حول الدين، لذلك فهي بمثابة الفلسفة أي أنها تتحرر من النزعات الإيديولوجية في البحث وتتسلح بمنطق ابستمولوجي"[1]فهي فرع من فروع البحث الفلسفي الذي يهتم بقضايا الدين أي أن موضوعها الدين وآلياتها في فهمه متنوعة أي هي لا تكتفي بالتدبر والتأمل القائم على الفلسفة بمفردها بل ذلك التأمل الذي تتعدد أدواته المنهجية مثل مكاسب علم النفس والأنثربولوجيا ومناهج التأويل والسيميولوجيا والتفكيك.

ومرد الاهتمام بفلسفة الدين، يرجعه "المرزوقي" إلى عنصرين أو ظاهرتين تاريخيتين متماثلتين: من حيث الوظيفة التي أدتها في تاريخ البشرية الفعلي وفي تاريخ وعيها التاريخي من حيث صلته بالدين والفلسفة أو بالوحي والعقل رغم اختلاف الظروف (ظرف الحضارة العربية الإسلامية وظرف الحضارة اللاتينية المسيحية) والنتائج (فشل التجربة الإسلامية لتوقف فعليها الجوهريين المشروطين في فلسفة دينها النظرية عقيدة دينية وعلما بالعالم وفي فلسفته العملية شريعة دينية وعلما بالتاريخ قصدت الاجتهاد أو التواصي بالحق والجهاد أو التواصي بالصبر ونجاح التجربة المسيحية في كلا الأمرين" [2].

[1]- أبو يعرب المرزوقي، فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي، دار الهادي، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 24.

[2] -المرجع نفسه، ص45.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

إذن ترتبط أهمية فلسفة الدين بإشكالية جوهرية حركت الفكر الفلسفي قديما وراهنا في الشرق والغرب، ألا وهي مسألة الصراع بين العقل والنقل أو الجدل السائد بين الدين الطبيعي والدين المنزل الذي عبر عن تطور الصراع بين القولين الفلسفي والديني على مر التاريخ وفي مختلف الأمكنة، والأزمنة، وتريد فلسفة الدين بالدرجة الأولى الاعتماد على أدوات الفهم الجديدة في التعامل مع النصوص الدينية خارج "الهيبة السحيقة للنص" بالتعبير الأركوني، أي بعيدا عن كل الخطوط الحمراء باستنطاق المهمش والمسكوت والمنسي عن طريق التفكيك، وبالعودة إلى السياقين التاريخي والثقافي لظاهرة الوحي، والتحليل السميولوجي والهرمنوطيقي لظاهرة الوحي في فلك الممنوع والممتنع بلغة حرب .

4-فلسفة الدين في الإسلام–أفاق و أبعاد-:

يطرح الكثير من المفكرين جدوى الاهتمام بفلسفة الدين، وعلى رأسهم أبو يعرب المرزوقي، الذي ترتبط أهمية فلسفة الدين عنده، بإشكالية جوهرية حركت الفكر الفلسفي قديما وراهنا في الشرق والغرب، ألا وهي مسألة الصراع بين العقل والنقل أو الجدل السائد بين الدين الطبيعي والدين المنزل الذي عبر تطور الصراع بين القولين الفلسفي والديني على مر التاريخ وفي مختلف الأمكنة.

يؤكد المرزوقي أن "كل فكر فلسفي اليوم فكر ديني متنكر وكل دين فكر فلسفي متنكر فكلاهما صار مجاهدة شخصية ومجاهدة جماعية سواء أكان ذلك في الملة الواحدة أو بين الملل. "[1] إذ يرى أننا لا نستطيع في الفترة الراهنة، فصل الفلسفة عن الدين والعكس صحيح، لأن كل مجال يتضمن الآخر في الدين الواحد أو في الديانات المتعددة، فالتأمل العقلي في الدين ضروري لا مفر منه لبناء فكر فلسفي متنور وهادف وتوظيف الدين في مواضيع الفلسفة بدوره يكتسي أهمية كبرى بمنجزاتها في الفترة القديمة والراهنة، لأن هناك تداخلا بين الديني والدنيوي لا يدرك إلى بالتوالج بين الدين والفلسفة.

لإثبات ذلك يؤكد المرزوقي أن القرآن الكريم ذاته يؤسس للتفلسف في الأديان، ويؤكد على الترابط بين الدين والدنيا حين يجعل للحياة في أبعادها الأنطولوجية والأخلاقية والسياسية...معان متعددة تجمع بين عالم الأرض وعالم السماء وبين الدين والدنيا تدرك في إطار التحالف بين الفلسفة والدين.

فبفضل الفلسفة يستطيع الإنسان إدراك فهما جديدا وفعالا للدين، من شأنه أن يجني منها ثمار الفلاح والنجاح، "يقوم على التحرر من الوسطاء المعروفين بين المؤمن وربه والاتصال المباشر بآياته سواء أكانت مخلوقاته الطبيعية والتاريخية أو نصوصه التي بلغها رسله والتي هي آيات من الدرجة الثانية لأنها تحدد الموقف من الآيات التي من الدرجة الأولى في القيم الخمس ذوقا ورزقا ونظرا وعملا ووجودا" ويعني أن المؤمن يجرب أن يجرب بنفسه المعاني التي تعبر تحملها النصوص القرآنية ويدخل بموجب ذلك في

[1]- المرجع نفسه، ص53.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات

تجربة إيمانية مباشرة تتخذ من الأنبياء نماذجا للتجربة الخلقية الموصلة إلى الحقيقة الدينية والوجودية.

كما نلمس الكثير من الآفاق الفلسفية للإسلام عند – غارودي (ت2012) –الذي يرى أن "مستقبل الإسلام في أيامنا هذه منوط بالجهود التي تبذل لتبسط بسطا جديدا كل أبعاده التي صنعت في أزمنة أخرى عظمته وتألقه: أي في بعده ذي النزعة الكلية التي لا يقتصر على هذا التقليد أو ذاك من تقاليد الشرق الأدنى وماضيه بل ينفتح على الثقافات كلها ويجدد التعايش الغني بين الشرق والغرب، بين الأديان المنزلة المسيحية والإسلام واليهودية وحكم الفرس والهند والصين في الماضي السحيق. وبعده بعد الأسبقية والحب الذي دافع عنه الصوفيون الكبار الأندلسيون من ابن مسرة إلى ابن عربي ودافع عنه البيروني كبير والامبراطور أكبر حينما بلغ الإسلام أوجه في الهند ضد كل أصحاب النزعة الشكلية والطقسية والحرفية الجافة. وبعده الاجتماعي الذي يستبعد غاية المصالح المتنافرة وتراكم الثورة في قطب من المجتمع وتراكم الشقاء في القطب الآخر. وبعده النقدي ضد الفقهاء الذين تجتذبهم سفاسف الأمور الآتين من خارج الإسلام إذ يدعون أنهم حراس الاستقامة ويعتبرون أنفسهم موظفي المطلق"[1]، من خلال النص ندرك أن هناك رؤية استشرافية تتعلق بالإسلام أولا، كدين للتعايش والتسامح وقبول الآخر، عن طريق فهم أبعاده الحقيقية التي تقوم على الانفتاح على الآخر، والمحبة الشاملة، وتكريس العدالة الاجتماعية وقبول النقد بعيدا عن فكرة الدين الصحيح والواحد والتعصب والتزمت وفهمه كمجال للحياة خارج أفكار المطلق والنهائي.

خاتمة البحث:

في آخر هذا البحث المقتضب نصل إلى أن الفلسفات الدينية هي تلك الفلسفات القديمة والوسيطية التي انطلقت من الحضارات الشرقية القديمة ووصلت إلى غاية الفترة الحديثة قامت على رؤية الدين كمجال للاعتقاد الغاية الكبرى للتفلسف فيه هي الإيمان والدفاع عن صحة نصوصه وتعاليمه بمناهج قديمة على رأسها المنطق اليوناني، **ولكن بظهور** فلسفة الدين تم تأسيس تصور جديد للدين يجعله من صميم الحياة مؤسسا لها ومنظرا لمستوياتها المختلفة يمثل ظاهرة إنسانية واجتماعية تقبل الانتقاد دون حد أو قيد باستخدام الأدوات والمناهج المعاصرة، ولكن مهما بلغ الفكر الفلسفي الباحث في الدين من تطور في إطار ما عرف بفلسفة الدين إلا أنها لا تختلف عن الفلسفات الدينية إلا اختلاف المفرد عن الجمع إذا نظرنا إلى الدين كرديف للغيبي والميتافزيقي والمتعالي في كل مكان وزمان وإذا عرفنا أن التحرر من الاعتقاد فيه بمثابة الوهم والحلم وإن ارتبط بالعلم، فالنقلة النوعية التي عرفها تصور الدين في فلسفة الدين هي تلك التي تجعله مجالا للاستئناس بالعلوم الجديدة وأدوات الفهم المعاصرة في إطار مفاهيم جديدة تلحق به كالظاهرة والنص والخطاب، والتي تطمح إلى فهمه فهما مواكبا لمستجدات الواقع والعلم، متطلعا إلى إضفاء صفات الكونية والموضوعية...في البحث فيه، رغم أن غايته النهائية هي ترسيخ الاعتقاد كغاية قصوى للإنسان كحيوان متدين.

[1]- غارودي روجي، الإسلام، تر: وجيه أسعد، دار الفارابي، ط2، 2001، ص150.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

المنارة للاستشارات